الــدّهــر في شعر سعيد بن مسَلّم المَجِيـزي العُمـاني (أبي الصـوفي)

دراسة وصفية تحليلية

د. مروعي بن إبراهيم بن موسى المحائلي

أستاذ مساعد ـ جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

الـمـلـخّـص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة توظيف الدهر في شعر سعيد بن مسَلّم المَجِيـزي العُمـاني (أبي الصـوفي) دراسة تحليلية، معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بالوقوف على الشواهد التي جعلت من الدهر أو الزمان مادته الرئيسة لبناء صورته الشعرية، وقد قدمت لبحثي هذا بمقدمة تحدثتُ فيها عن الدهر في اللغة والاصطلاح بالإضافة لتعريف بالشاعر أبي الصوفي، وقد كشف البحث بأنه أستعمل الدهر أو الزمان في شعره، وقد قسمت البحث وجاء ترتيبه حسب العناوين التالية: الدهر بأبعاده الفيزيائية، الدهر بأعضائه الإنسانية والحيوانية ، الدهر بخصاله الإنسانية، سلطان الدهر، جنود الدهر، الزمن الكمي، أثر الدهر في الشاعر، إخضاع وخضوع الدهر، الصراع مع الدهر، ثم أنهيت البحث بخاتمة.

الـكلـمات المفـتاحـيّة: الـدهـر ـ الزمان ـ أبو الصـوفي ـ الأدب العُـماني.

Summary:

This research aims to study eternity in the poetry of Saeed bin Muslim al-Mujizi al-Omani (Abu al-Sufi), an analytical study, based on the descriptive analytical method, by examining the evidence that made eternity or time the main material for building his poetic image. I presented this research with an introduction in which I talked about Time in language and terminology, in addition to an introduction to the poet Abu al-Sufi. The research revealed that he used time or time in his poetry. The research was divided and arranged according to the following headings: time with its physical dimensions, time with its human and animal organs, time with its human characteristics, the ruler of time, the soldiers of time, time. Quantity, the effect of time on the poet, the subjugation and subjection of time, the struggle with time, and then I ended the research with a conclusion.

Keywords: time - time - Abu Al-Sufi - Omani literature.

المُقدّمة:

يُمثّل الدهر "عند الشاعر العربي، ظاهرة أشغلت تفكيره"[١]. فقد وردت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسانِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُوْرا﴾ [٢]. كما وردت في السنّة النبويّة المطَهَّرة في قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم فيما يرويه عن ربّه: قال تعالى: "يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهرُ بيدي الأمر أقَلِّبُ الليل والنهار" [٣]. كما وردت كلمة الدهر في الشعر الجاهليّ في قول طَرَفَة بنِ العبد:

أرى العيشَ كنزًا ناقصًا كُلَّ ليلةٍ وما تنقص الأيّامُ والدهرُ يَنفَدُ [٤]

كما وردت كلمة الدهر على لسان شعراء عصر صدر الإسلام في قول حسان بن ثابت:

فمَن يأمن الدهر الخؤون فإنّني برأي الذي لا يأمن الدهرَ مُقتدي [٥]

وقد ارتبط الدهر في الأزمنة الماضية بكثير من المعتقدات "الدينيّة والمُسلَّمات الروحيّة، فكان الإنسان يقف عاجزًا أمام الحياة والموت، دون امتلاك إجابات كافية للقضاء على حيرته، وآليّات تسيير الكون مِن حوله، وفق السنَن التي ارتضاها الخالق لهذا الكون الفسيح، فقد انحصر تصوُّره للزمن في الغيبيّات، و"الميتافيزيقيا" التي تلفُّ عقله بالحيرة، وتجعل منه امرءاً مُستسلماً للنواميس المنتظمة حوله دون أن يجد

(١) الدهر في ديوان الهُذليين، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب، إعداد حمد محمد خضر المطرفي، إشراف الدكتور/ حميد سمير، جامعة أم القرى، عام ٢٠١٥م، ص ١٣

(٢) سورة الإنسان، الآية ١

(٣) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ١٤٢٢هـ، دار بن رجب، ص ١١٩٣

(٤) ابن قُتَيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ، المجلد الأول، ص ١٨٧.

(٥) حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٤٠٧.

لها إجابة تريح حيرته، وتُنشئ بينه وبين الزمن جسورًا من التواصل واقتراح التعليلات العقليّة"[٦]. فـ"الزمن من أدقّ المفاهيم الفلسفية، وأكثرها تعقيدًا، لأنّه مادّة معنويّة مُجرّدة يتشكّل منها إطار كلّ وجود، وكلّ حياة، وكلّ حركة، بل هو جزء لا يتجزّأ من الموجودات في كلّ مظاهرها وسلوكها" [٧]. فالدهر أو الزمن هو "الذي يُنْبِئُ الإنسان بموته، وزواله، وعبثيّة كلّ جهوده ... وهو الذي يحمل أملَ الإنسان ويأسه ... إنّه الكيان الموجود الفاني" [٨]

الدهر في اللغة:

الدهر مفرد، ويُجمع جمعَ قِلَّة فيُقال: "أَدْهُر"، ويُجمع جَمع كثرة فيُقال: "دُهُور"، والدهاريـر هو" أوّل الدهر في الزمان الماضي"[٩]. وقد "سُمّيَ الدهر دهرًا؛ لأنّه يأتي على كلّ شيءٍ ويغلبُه"[١٠]. ويُقالُ: الدهر هو: "الأمَدُ الممدود، وقيل: ألف سنة"[١١].

(٦) باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٥١

(٧) الزمن في شعر محمود درويش، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، إعداد سلطان عيسى الشعار، إشراف الأستاذ الدكتور/ سامح عبدالعزيز الرواشدة، جامعة مؤتة، ٢٠١١م، ص ١٠

(٨) يمنى طريف أمين الخولي، إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم، مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، مصر، العدد ٩، ١٩٨٩م ، ص ١٧

(٩) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة (دهر).

(١٠) المرجع السابق، مادة: (عصر).

(١١) المرجع السابق، مادة (دهر).

ويُقال الدهر هو الأبَد الذي لا ينقطع، قال الأزهريّ: "الدهر عند العرب على بعض الدهر الأطول، ويقع على مُدّة الدنيا كلّها، وقيل الدهر: مُدّة الدنيا كلّها من ابتدائها إلى انقضائها" (١٢).

والدهر: "اسمٌ لمُدّة العالَم مِن مَبدأ وجوده إلى انقضائه"(١٣). وقيل: "الدهر الزمان الطويل"(١٤). ويُقال: إنّ "دهر كلّ قومٍ زمانُهم" (١٥). و "الزمن والزمان: اسمٌ لقليل الوقت وكثيره، ويُجمع على أزمانٍ وأزمِنةٍ وأزمُنٍ"(١٦). فالزمن، والزمان، والمُدّة، والوقت، واليوم، والساعة، يطلق على الجزء القليل المحدود من الدهر (١٧).

الدهر في الاصطلاح:

يُعرّف أبو هلال العسكري الزمانَ والدهر تعريفاً واحداً، فيقول في تعريف الدهر: "إنه جَمع أوقات متتالية مُختلفة أو غير مُختلفة"(١٨). ثم يُعرّف الزمان التعريفَ نفسه(١٩).

والزمان عند (برجسون) فنّ أدبيّ يسرح فيه الشاعر ويمرح كما يريد، لذا فهو يقول: "ما مِن أحدٍ كالشاعر يُحِسّ بالزمان"(٢٠). فالدهر أو الزمان هو: "وحده الذي يتيح للشاعر التعبير عن المتناقضات في إطار واحد"(٢١).

---

(١٢) المرجع السابق، مادة (دهر)

(١٣) أبو البقاء الكفوي، الكليات، أعدّه للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري– مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٤٤٤

(١٤) الفيروز آبادي، القاموس المُحيط، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ، ص٣٩٤

(١٥) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء الثاني، ط٣، القاهرة، ١٤١٦هـ، ص٦٠٩

(١٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ج٥، ص٢١٣١.

(١٧) أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي علّام، وزارة المعارف، المجلّد العاشر، ص٣٨٩، ٢٩٠

(١٨) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م، ص٢٦٣

(١٩) المرجع السابق، ص ٢٦٤

نلاحظ ممّا مضى من أقوال أنها تعاملت مع الوجه الزمني الفيزيائي للدهر وعدّته، فالزمان "كالظرف الخارق السعة، تتحرك داخله الكائنات، وتقع في فضائه الوقائع، فليس ثمّة موتٌ أو حياة، ولا سكوت أو ثبات، ولا آلام أو مسرات، خارج هذا الظرف"(٢٢). وهذا بسبب الارتباط المادّيّ للإنسان بالزمن، فبه يتعامل مع الآخرين، وعليه وعليه يقضي عمره. "فالدهر سبب في النوازل والمصائب لا فاعل لها، وإن كان هناك من ينسب له الفاعليّة.. تلك الفاعليّة التي جعلت منه برأي كثيرين سلطة قاهرة غلّابة"(٢٣).

وقد ميّز (هانز ميرهوف) بين مفهومَيْن للزمن، وهما: الزمن الموضوعيّ، والزمن النفسيّ، وذلك في قوله:

- الزمن الموضوعيّ هو: "الذي تُحدّده الحوادث الكونيّة أو الطبيعيّة المتكرّرة، ويُقاس بالساعات المختلفة"(٢٤).
- والزمن النفسيّ: "وهو زمن لا مُتَناهٍ، يستشعره الإنسان من خلال أحاسيسه ومشاعره الداخليّة. وهو خاصّ، شخصيّ، ذاتيّ، يختلف من إنسان إلى آخر، كلّ حسْب هواه، ونمط حياته الداخليّة"(٢٥).

(٢٠) خيري منصور، أبواب ومرايا: مقالات في حداثة الشعر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ص٧٢

(٢١) أحمد علي محمد، المحور التجاوزي في شعر المتنبي: دراسة في النقد التطبيقي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ٩٤

(٢٢) عبد الإله الصائغ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م، ص ٦١

(٢٣) الدهر في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، إعداد محمد عيسى عبدالله الحوراني، إشراف الأستاذ الدكتور/ يونس سنوان، جامعة اليرموك، ٢٠١٣م، ص ٨

(٢٤) لميس داود، الزمان في شعر المتنبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٩م، ص٣٣. وانظر: هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، ترجمة: أسعد مرزوق، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٠، ١١

(٢٥) لميس داود، الزمان في شعر المتنبي، ص٣٣. وانظر: هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، ترجمة: أسعد مرزوق، ص١٠، ١١

تعريف بالشاعر:

اختلف العلماء في اسم (أبو الصوفيّ)، فمنهم من قال: إنّ اسمه " سعيد بن مسلّم بن سالم المَجيزيّ الجابريّ"[٢٦]. ومنهم من اقتصر على الاسم الرباعيّ السابق، دون ذِكر اسم الجابريّ[٢٧]. ويؤكّد (عبد العزيز مختار شبين) بأنّ "سعيد بن مسَلّم المَجيزيّ: هو ابن سالم السمائليّ العُمانيّ"[٢٨]. أمّا عن سبب كُنيته بأبي الصوفيّ فيُقال: " إنّ له ولد اسمه الصوفيّ، ثمّ غيّره إلى عبد الله"[٢٩]. ويقال إن المَجيزي "نسبة إلى منطقة مَجز الكُبرى بصَحار، موطن آبائه قبل انتقالهم إلى سمائل"[٣٠]. والشاعر أبو الصوفيّ من شعراء عُمان في " أواخر القَرْن التاسع عشر، وأوائل القَرْن العشرين"[٣١]. وقد ولد أبو الصوفيّ في سمائل بسلطنة عُمان[٣٢]. ونشأ فيها [٣٣].

ومن المعروف أنّه "قضى حياته في سلطنة عُمان، تلقّى علومه في مسقَط رأسه على كبار عُلمائها، فدرس مبادئ اللغة، والأدب، والدين"[٣٤]. وقد "أتقن أبو الصوفيّ فنّ الكتابة، فكان خطاطًا ماهرًا"[٣٥]. واشتغل كاتبًا عند "بدر بن سيف بن بدر البوسعيدي ...، ثم عمل كاتبًا للسلطان فيصل بن تركي، ثم كاتبًا للسلطان تيمور بن فيصل، ثم للسلطان سعيد

(٢٦) سعيد بن مسلم المجيزي العماني، ديوان أبي الصوفي، تحقيق: حسين نصار، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٣، ٢٠١٦م، ص ٥

(٢٧) عبد الله بن محمد الهمداني، زبدة الحقائق ويليه (رسالة شكوى الغريب)، ٢٠٠٨م، ص ١٧٤

(٢٨) عبد العزيز مختار شبين، الخال وأضرابه في قوافي الشعراء: على ضوء دائرة المعارف للكرباسي، بيت العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١٨م، ص١٠٣

(٢٩) ديوان أبي الصوفي، ص ٥

(٣٠) المصدر السابق، ص ٥

(٣١) عبد الله بن محمد الهمداني، زبدة الحقائق ويليه (رسالة شكوى الغريب)، ٢٠٠٨م، ص ١٧٤

(٣٢) عبد العزيز مختار شبين، الخال وأضرابه في قوافي الشعراء: على ضوء دائرة المعارف للكرباسي، ص ١٠٣

(٣٣) ديوان أبي الصوفي، ص ٥

(٣٤) عبد العزيز مختار شبين، الخال وأضرابه في قوافي الشعراء: على ضوء دائرة المعارف للكرباسي، ص ١٠٣

(٣٥) ديوان أبي الصوفي، ص ٥

بن تيمور"[٣٦]. وقد عاش أبو الصوفي حياته " شاعرًا للبلاط السلطانيّ، واختصّهم بالشعر، ولازمهم في أسفارهم"[٣٧]. وهو "من كبار شعراء عُمان في عصره"[٣٨]. فقد "تميّز بأشعاره وقصائده الفصيحة الرصينة"[٣٩]. وقد "أصيب أبو الصوفيّ في أواخر حياته بمرض الفَتق الإربيّ، أو ما يُعرف بمرض (الريح) فأُجريت له عمليّة ... بمستشفى الإرساليّة الأمريكيّة بمطرَح. ثم توفّي أبو الصوفيّ بعد مدّة في مزرعته طوي الزيتون بالسيب، يوم الخميس ٢/ ربيع الأول ١٣٧٢هـ، الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢م، ودُفِن في مقبرة فزع بالسيب"[٤٠].

وقد استعمل أبو الصوفيّ الدهر أو الزمان في شعره بصور كثيرة ومختلفة، ذكر فيها: الدهر بأبعاده الفيزيائيّة، والدهر بأعضائه الإنسانيّة والحيوانيّة، والدهر بخصالٍ إنسانيّة، وسلطان الدهر، وجنود الدهر، والزمن الكمّيّ، وأثر الدهر في الشاعر، والصراع مع الدهر، وإخضاع الدهر.

المبحث الأوّل: الدهر بأبعاده الفيزيائيّة:

استعمل أبو الصوفي الكثير من الألفاظ الدالة على الدهر بأبعاده الفيزيائية، مثل: الوقت، الشهر، الدهر ، اليوم ، الساعة، الصباح، المساء، شهر شعبان،...إلخ.

ويستعمل شاعرنا في هذا الشاهد أربعة ألفاظ تدلّ على الدهر بشكل عام، أو تدلّ على أجزاء من الدهر، وهي: (الليالي، والدهر، واليوم، والسويعة) والأخيرة هي مصغّر (ساعة)، وذلك في قوله:

---

(٣٦) المصدر السابق، ص ٥

(٣٧) الديوان، ص ٥. وانظر: عبد العزيز مختار شبين، الخال وأضرابه في قوافي الشعراء: على ضوء دائرة المعارف للكرباسي، ص ١٠٣

(٣٨) عبد العزيز مختار شبين، الخال وأضرابه في قوافي الشعراء: على ضوء دائرة المعارف للكرباسي، ص ١٠٣

(٣٩) ديوان أبي الصوفي، ص ٥

(٤٠) المصدر السابق، ص ٥

لحـا الله يـومًا فـرّق الدهـرُ بيننا وحـيّـا لـيالٍ والحـبيبُ قَـطِـينُ

لئن كـنتُ أرجو للـتلاقي سُويعَةً ولكـنّ قـلـبي للـفـراقِ حـزينُ (٤١)

ويستعمل الشاعر لفظة تدلّ على جزء من الوقت وهو وقت (الصبح)، وذلك في قوله:

فإنَّ خـفاءَ الفضل يظهر بالـثنا ولم يخفَ ضوء الصبح والصبحُ عاطسُ (٤٢)

ففي هذا الشاهد ألفاظاً تدلّ على الدهر أو أجزاءٍ منه، مثل شهر: (شعبان): وهو الشهر الثامن من أشهر السنة الهجريّة. ومن الأيّام لفظة (يوم عشر، وتسعة) أي: من شهر شعبان. وكذلك استعمل الشاعر لفظة (اليوم)، وذلك في قوله:

وصـل الله ذي الحـياة بوصل مـدّة الـدهـر لـم تـزل بحـمـاهـا

قـد تجـلّـى نـور شعـبـان مـنه يـوم عـشـر وتـسعـة من دُجاها

قام في الـملك بالسعـود فأرّخ هِـمـمـا تحسـد الـنجـومُ عـلاها

إنّ تيمور عـدله اليوم أضحى يطمس الأرض وُهْـدَها ورُباها (٤٣)

لقد جمع أبو الصوفي في أبياته هذه بين الدهر وأجزائه، فذكر الدهر، وذكر أجزاء من الدهر، مثل: الشهر، اليوم، الليل، الصبح، شهر شعبان، يوم عشرة ويوم تسعة من شهر شعبان، وساعة.

المبحث الثاني: الدهر بأعضائه الإنسانيّة أو الحيوانيّة:

استعمل أبو الصوفيّ الدهر وأسقط عليه صفات الإنسان، فالدهر عند الشاعر أبي الصوفيّ يملك أعضاء إنسانية: كالثغر، والأنياب، والجبهة، والوجه، واليد، والكفّ، والعين، والوجْنة، والجِيْد، والقلب، والرحِم.

(٤١) ديوان أبي الصوفي، ص ١٥٩

(٤٢) المصدر السابق، ص ١٢٩

(٤٣) ديوان أبي الصوفي ، ص ١٧٠

فقد استعمل لفظتي (الدهر، والزمان) في بيت واحد، مستخدمًا أسلوب التشخيص، وذلك عندما جعل للدهر "بهجة" فالفرح، والابتهاج صفات إنسانيّة وظّفها الشاعر هنا ليبثّ الروح في الدهر، وفي الثانية عندما جعل للزمان وجها يتنقّب خجَلاً من جلال الممدوح، وذلك في قوله:

ظِلُّ الأمانِ وبهجةُ الدهر الذي بجلاله وجهُ الزمان تنقّبا (٤٤)

وفي موضع آخر يستعمل الشاعر لفظة (الدهر) معتمدًا على أسلوب التشخيص، فالدهر شخص يحمل وجها وغُرّةً، وذلك حينما يصف أبناء الممدوح (أبي نادر) الطهر، كما أنه أعطى (الوجود) الذي يحمل معنى الدهر، أو الزمان، أو الكونيّة، صفة الفخر أيضا، حين مدح أبا نادر، وهي صفة إنسانيّة، وجعله في أكرم مكان لدى الإنسان عند غُرّة الشعر، فيقول:

أبو نادر فخرُ الوجود وتاجُه وغُرَّةُ وجهِ الدهرِ أبناؤه الطهْرُ (٤٥)

والشاعر يستعمل (كم) الخبريّة التي تفيد الكثرة، ليُضيفها على صفة الممدوح، كما استعمل كلمة (آية) بمعنى علامة، فالممدوحون لهم علامات كثيرة في الفضل، وهي علامات ظاهرة كالنار فوق الجبل. ومن الملاحظ أنّ الشاعر استعمل الفعل (كُتِبَ)، وهو فعل ماضٍ مبني للمجهول، أي أنّ فضلهم على الناس ليس حديثًا بل هو قديم، وعادة متوارثة فيهم. وقد استعمل الشاعر صورة تشخيصية وذلك عندما جعل للدهر جبهة، في قوله:

كم آية لهم في الفضل قد كُتِبَتْ في جبهةِ الدهر مثل النار في علم (٤٦)

كما يستعمل الشاعر لفظتين تدلّ كلّ منهما على الدهر هما:

(٤٤) المصدر السابق، ص ٣٠

(٤٥) ديوان أبي الصوفي، ص ٥٦

(٤٦) المصدر السابق، ص ٨٢

- الأولى هي: (أوقات) التي استعملها بصيغة الجمع، فهي تعبّر عن فترة زمنيّة واسعة ولكنّها مقطّعة يملؤها الأنس، والشاعر يستعمل أسلوب التشبيه لأوقات الأنس بالربيع.
- أما الثانية فهي: (أيّام السرور) التي استعملها بصيغة الجمع أيضاً، فهي أيّام كثيرة تحمل في طيّاتها السرور. والشاعر يصوّر أيّام السرور بامرأة لها وَجْنة جميلة زادها جمالاً ذلك الخال الذي فيه. فأوقات الأنس هي كالخال الذي زاد أيّام السرور جمالاً، وذلك في قوله:

وأوقات أنس كالربيع قطعتها بوجنة أيام السرور هي الخالُ (٤٧)

فالشاعر يصوّر الدهر وكأنّه رجل حكيم ينظر إلى (بني سلطان) بشيء من الشرف، فهم ذوو مكانة عالية في عين الدهر، وكذلك عند الناس في هذا الزمان، وذلك في قوله:

بنو سلطان أشبال المعالي دُعوا للمجد طُرًا فاستجابوا

وقد شرفوا بعين الدهر جمعًا وإنسان الزمان فلا ارتيابُ (٤٨)

والشاعر يمدح السلطان فيصل بن تركي بن سعيد، فيصوّر الدنيا بأنها امرأة جميلة يزداد جمالها بالممدوح. فالشاعر يجعل من الممدوح مرّة عقدًا تتزيّن به الدنيا، ومرّة أخرى يجعل الممدوح (إنسانَ عين الدهر) أي: " الحَدَقَة؛ الفتحة التي يمرّ فيها الضوء إلى داخل العين، وتتّسع وتضيق تَبَعًا لشدّة الضوء"(٤٩). وذلك في قوله:

(٤٧) المصدر السابق، ص ٦٩

(٤٨) ديوان أبي الصوفي، ص ٣٥

(٤٩) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، مادة (أنس)

تحلّت بك الدنيا لأنّك عِقدُها وإنسانُ عينِ الدهر أنتَ فلا نكرُ [٥٠]

ويستعمل الشاعر لفظَتَيّ: (الزمان، والدهر) معتمدًا على أسلوب التكرار، فقد كرّر (الدهر) ثلاث مرّات في هذا الشاهد، ورسم صورة تشخيصيّة للدهر عندما منحه صفات إنسانيّة، فهو مرّةً يتميّز بالانتباه، ومرّةً أخرى بالنعاس، وهي صورة متضادّة (منتبه، ووسْنان)، فالدهر يحمل هاتين الصفتين الإنسانيّتَيْن، ثمّ يستعمل الشاعر أسلوبا تشخيصيّا للدهر عندما رسمه بأعضاء إنسانيّة، فهو يملك عينا أو طرْفا، ويملك أجفانا دائمة الحركة، ثم يكرّر الشاعر لفظة (الزمان) مرّتين مسبوقتان بالتوكيد بـ(إنّ)، وذلك في قوله:

فنهنهي ناقتي إنّ الزمان له في خطّة البين تطنيبٌ وأوطانُ

كنّا لفي سِنَةٍ والدهرُ منتبهٌ حتى انتبهنا وطرْف الدهر وسنانُ

إن الزمان أخو الأشجان من قدمٍ لا تستقرّ لعين الدهر أجفان [٥١]

ويرسم الشاعر صورة للدهر قبل مجيء السلطان تيمور بن فيصل بن تركي، فالدهر عبارة عن حيوان مفترِس يوشك على الانقضاض، وذلك عندما جعل للدهر ثغراً له أنياب بارزة، وهي من الصور المستعملة كثيرًا في الشعر العربي القديم [٥٢]، إذاً فقد صوّر الشاعر الدهر بحيوان مفترس له أنياب وظفر ومخالب من خلال تصوير المجرّدات، مثل: الموت والزمن، وتصويرها بالوحش، وذلك في قوله:

فلو لا تأسّينا لفاضت نفوسنا بتيمور مَن للمُلك شَبّتْ ترائِبُهْ

تجلّى على أفُق الخلافة مشرقًا فضاء به شرق الفضا ومغاربه

(٥٠) ديوان أبي الصوفي، ص٥٤

(٥١) ديوان أبي الصوفي، ص ١٦٥

(٥٢) انظر: حمد محمد خضر المطرفي، الدهر في ديوان الهذليين، رسالة ماجستير، ص ٢٠

أتانا وثغر الدهر أبرز نابَه فلمّا بدا بالدهر زالت شوائبه [٥٣]

ويستعمل الشاعر أسلوب التشخيص في لفظتي (الدهر والأيّام)، فالدهر يمرح ويتبسّم، وله أعضاء بشريّة مثل (الثغر)، فقد صور الدهر بصورة مخلوق أسطوريّ يراقب فضاء الخلافة الذي أضاء بتولّي السلطان تيمور بن فيصل بن تركي، الذي أتى في وقت عصيب أبرز فيه الدهر نابه، وقد أوشك أن ينقضّ، فلمّا رأى السلطان تراجع، وبمجرّد أن ظهر الممدوح أصبحت مراتب أهل المجد تتنفّس في الممدوح، فهو وُلِدَ كاملاً، وهذا ما جعل الدهر يُقبل وهو يمرح مُعجَباً بالممدوح، والشاعر يستمدّ صورة المرَح التي يشعر بها الدهر من المرح الذي عاشته الغطارس في يوم الزبون، واستعمل الشاعر عبارة (يوم الزبون) وبالرجوع إلى كتب التاريخ وعلى رأسها كتاب "أيّام العرب في الجاهلية" لمؤلّفِيْه: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، لم أجد يومًا للعرب بهذا الاسم، وكلّ الظنّ أنه ليس يومًا من أيّام العرب بعينه، فكلمة زبون مشتقة من زَبَنَ، وهي في اللغة بمعنى: "دفع، ويوم زبون، وحرب زبون: أي تزبُن الناس فيه، أي تصدمهم وتدفعهم، على التشبيه بالناقة لما تزبن ولدها عن ضرعها، وقيل: معناه أن بعض أهلها يدفع بعضها لكثرتهم"[٥٤]. وذلك في قوله:

تَبَسّم ثغرُ الدهر عنك وأصبحت مراتب أهل المجد فيك تَنافَسُ
تهادت بك الأيّام زهْوًا كمِثلما تهادت بكفّيك الرماح المداعس
وأقبل فيك الدهر يمرح مُعجبًا كما مرحت يوم الزبون الغطارس [٥٥]

ويستعمل الشاعر لفظ (الزمان) مرّتين في الأولى: صوّر الممدوح على أنه سيف بيد الزمان، باستعمال أسلوب التشخيص، فالزمان له يدٌ قادرة على تجريد السيف

(٥٣) ديوان أبي الصوفي، ص ٢٧
(٥٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (زبن)
(٥٥) ديوان أبي الصوفي، ص ١٢٩

(الممدوح)، وهذا السيف يحمل صفة القوّة والدوام، فهو مستعصٍ على الانثناء والكسر، قادر على البقاء مدى الزمان، وذلك في قوله:

قد جرّدتك يد الزمان مهندًا لو جرّدته على الزمان لما نبَا

يا من به عَذُبَت موارِدُنا ومَن أضْحت به الدنيا ربيعا مُخصَبا [٥٦]

ويستعمل الشاعر أسلوب الكناية مرتين:

- الأولى: عندما جعل لليل عضو بشري وهو(الكف) في قوله: (والرأس كفُّ الليل يمسحه) كناية عن سواد شعر الرأس، أي: سنّ الشباب.
- والثانية: عندما جعل للصبح عضو بشري وهو (الكف) في قوله: (كفّ الصبح باللمَم) كناية عن بياض شعر الرأس، واللمم: "الشعر"[٥٧]، أي: سنّ المشيب، وذلك في قوله:

قد كان والرأس كفّ الليل يمسحه فما درَى غير كفِّ الصبح باللمَم [٥٨]

وللزمان جيْد، والجِيْد هو: مقدّمة العُنُق، وهو موضع القِلادة [٥٩]. وذلك في قوله:

ومددتُ كفّي في جواهر فضله فنظمتها بقلائدٍ وعقودِ

فابتزّها منّي الزمان فأصبحتْ في جيده مقرونةً بسعود [٦٠]

ويمدح الشاعر (أبا طارق) بأكثر من صورة، فالممدوح مرّة عينٌ للملك، ومرّة هو مَسمَع للسياسة، وهي أعضاء بشريّة تُستعمل في هذا البيت بمعنى الحاذق المتمكّن في المُلك والسياسة، ففي الشطر الأول يجعل الممدوح (قلب الزمان)، وفي ذلك رأيان:

---

(٥٦) المصدر السابق ، ص ٣٠

(٥٧) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م، مادة (لمَّ)

(٥٨) ديوان أبي الصوفي، ص ١٥٥

(٥٩) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (جيد)

(٦٠) ديوان أبي الصوفي، ص ٤٧

- الأوّل أنّ كلمة (قلب) في قوله: (قلب الزمان) تعني: "وسطه، ولُبُّه، وحُضنه"[٦١]. وهو ما يعني بأن الممدوح يحتلّ مكانة بارزة حيث إنّه يمثّل وسط الزمان، أو لُبّ الزمان، وهو أمر معنوي.
- أما الرأي الثاني: فهو ينقسم إلى:
  - أولاً: أن كلمة (قلب) في قوله: (قلب الزمان) تعني العضو العضلي الأجوف الذي يستقبل الدم من الأوردة، ويدفعه في الشرايين [٦٢].

والشاعر بهذا المعنى يرسم صورة تشخيصيّة للزمان، وهو ما ينسجم مع الصورتين اللاحقتَين في الشطر الثاني: (وللملك عين، وللسياسة مسمع).

  - وثانيًا: أنّ التاج يوضع على الرأس، وذلك في قوله:

أبو طارق قلب الزمان وتاجه وللمُلك عين والسياسة مَسْمَعُ [٦٣]

كما يرسم الشاعر صورة تشخيصيّة للأيّام، فالأيّام امرأة لها (رحم)، والرحم هو: "موضع تكوين الجنين ووعاؤه في البطن" [٦٤]. وذلك في قوله:

فتى به جادت الأيّام مكرُمة مِن بعدهِ رَحِمُ الأيّام ينعَقِمُ [٦٥]

ويلاحظ من خلال تتبع الدهر أو الزمان في شعر أبي الصوفي أنه وضع للدهر أعضاءً بشرية وحيوانية، مثل: (الوجه، والغرة، والجبهة، والوجنة، والعين، وإنسان العين (الحدقة)، والثغر، والأنياب، والأظافر، والمخالب، واليد، والكف، والقلب، والعقل، والرحم). وهي أعضاء ساهمت في بث الروح في الدهر. والشاعر باستخدامه لهذا الأسلوب هو مقلد للقدماء في تصويرهم الدهر.

---

(٦١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (قلب) .

(٦٢) المرجع السابق مادة (قلب)

(٦٣) ديوان أبي الصوفي، ص ١٣٨

(٦٤) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (رحم)

(٦٥) ديوان أبي الصوفي، ص ٧٩

المبحث الثالث: الدهر بخصالٍ إنسانيّة:

تمكن أبو الصوفي من تحميل الدهر بعض صفات الإنسان، ومن هذه الصفات صفة الخيانة، وهو في ذلك يسير على نهج القدماء في تحميل "الدهر بعض صفات الإنسان، ومن ذلك وصفهم للدهر بالخيانة"(٦٦).

ويستعمل الشاعر أسلوب التشبيه لينقل للمتلقّي صورة الدهر من وجهة نظره، فالدهر عند شاعرنا (يمرض، ويشفى)، فهو كالجسم من هذه الناحية، وذلك في قوله:

والدهر يمرض كالجسوم ويشتفي إنْ ساسه بالعدل من أكْفائِهِ (٦٧)

إذن فالدهر عند الشاعر يحمل صفات إنسانية متعدّدة، مثل صفة (الكَلّ) أي المُتَّعَب. فهو يستعمل هذه الصورة ليُبيّن كثرة كرم الممدوح حتى إنّ الدهر يعجز عن عدّها أو إحصائها، وذلك في قوله:

وإليك يا ابن الأكرمين قد انتهى كرمٌ يكلُّ الدهر عن إحصائهِ (٦٨)

والشاعر يستعمل لفظتين للزمن وهما:

- لفظة (اليوم) التي تدلّ على الوقت القصير الحاضر، وهو يمثّل وقت قدوم السلطان تيمور بن فيصل بن تركي.
- ولفظة (الدهر) التي تدلّ على الزمن الطويل الممتدّ قبل، وأثناء، وبعد قدوم الممدوح، فالدهر عند شاعرنا يعاني ويتعب ولم يسترح إلّا بعد عودة الممدوح، وذلك في قوله:

فاليوم قرّت بالمليك دياره وقد استراح الدهرُ بعد عنائهِ (٦٩)

(٦٦) حمد محمد خضر المطرفي، الدهر في ديوان الهذليين، ص ٢٢

(٦٧) ديوان أبي الصوفي، ص٩٦

(٦٨) ديوان أبي الصوفي، ص ١٢٨

استعمل الشاعر لفظتا: (الزمن، والزمان) في هذا الشاهد بالمدلول ذاته، وهما صورتان:

- الأولى: (ترنّح الزمن الطروب).
- والثانية: (رقص الزمان) متمّمة للصورة الأولى، وهما صورتان تحملان حركة مضطربة تتمثّل في الترنّح، والطرب، والجماح، والرقص، فالزمن أو الزمان يمتاز بصفات إنسانية حيويّة، فهو يهتز ويتحرّك طربًا في صورة راقصة تبشّر بالسعادة والسرور بقدوم الممدوح، وذلك في قوله:

واخضرّ وجهُ الأرض وابتسم الحَيا وترنّح الزمن الطروبُ جِماحا

أنس به رقصَ الزمان ومن به وبنشره أرجُ البشائر فاحا [٧٠]

ويستعمل الشاعر صفات إنسانية يمنحها للأيّام، فالأيّام تبتسم بِشرًا وفرحًا، وذلك في قوله:

تبسّمت الأيّام بشرًا وأسفرت بطلعته والكتب جاءت وبشّرتْ

مديرُ رحى الهيجا إذا الحرب شمّرت مكارم عن إحصائها الخلق قصّرت

فليس له فيها شريكٌ منازعُ [٧١]

يرسم الشاعر في هذا الشاهد صورة جميلة للأيّام، فهو يجعل منها صورة أمّ فاعلة أنجبت الممدوح (السلطان فيصل بن تركي بن سعيد)، في زمن يتّسم بالشدّة والقسوة، وهو ما تعبّر عنه الصورة التشخيصية للأيّام، وذلك في قوله: (وهي عوابس)، والشاعر باستعماله للفظة (عوابس) يحمّلها دلالات الكثرة، كثرة الشدّة والقسوة. وما أن يبدأ الشاعر الشطر الثاني حتى ينطلق إلى الصورة الجديدة التي تتمثّل بتبدّل الحال وتغيّره

(٦٩) المصدر السابق، ص ٩٧

(٧٠) المصدر السابق ، ص ١٠٤

(٧١) ديوان أبي الصوفي، ص ٦٦

بمجرّد ظهور الممدوح، فانتقلت الأيّام من مرحلة العُبوس إلى مرحلة الابتسام، فالشاعر في الشطر الثاني يصوّر الأيّام بصفات إنسانيّة، فهي تبتسم وتمتلك أعضاء بشريّة فلديها ثغرٌ، وهذا الثغر يحتوي على أسنان بيضاء صافية، فمن معاني كلمة (أشنب الثغر): "رقّت أسنانه وابيضّت ... وهو جمال الثغر، وصفاء الأسنان" (٧٢). وذلك في قوله:

جادت به الأيّامُ وهي عوابس حتى بدا بَسَمَتْ بثغر أَشْنبا (٧٣)

ويلاحظ من خلال تتبع الدهر في شعر أبي الصوفي أنه يمنح الدهر صفاتًا إنسانية، مثل: (المرض، والشفاء، والكل (التعب)، التقاعس، الراحة، الحركة والاهتزاز والرقص، والابتسامة، والفرح، والعبوس). وهي صفات أسهمت في بث الروح في الدهر بأسلوب تشخيصي جميل وإن كانت كل هذه الصور التشخيصية مستهلكة وموجودة بكثرة عند الشعراء القدماء.

المبحث الرابع: سلطان الدهر:

وأبو الصوفي مثله مثل باقي الشعراء العرب لهم موقفهم من الزمان "الذي يتجسّد عنده بالدهر، أو هكذا كان يرمز للزمن بهذه الكلمة، وكانت تعني لديه الخطر الذي يهدّد الإنسان بوصف الزمان عاملاً مُهدِّدًا للبقاء والحياة معًا"(٧٤).

ويستعمل الشاعر لفظة (الدهر) في هذا البيت مصوِّرًا له باستعمال أسلوب التشخيص، فهو يحمل صفة إنسانيّة، وهي صفة العبوديّة بالإضافة إلى صفة التأدّب، فالدهر خاضع للقضاء أمام سلطة قضاء الممدوح وقدرته على الفصل بين المختصمِين، وذلك في قوله:

أصبحتَ فصلاً في القضاء مُحَكّمًا والدهرُ عبدٌ للقضاء مؤدّبا (٧٥)

(٧٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (شنب)

(٧٣) ديوان أبي الصوفي، ص ٣٠

(٧٤) محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٩٤

والشاعر يرى أن الدهر يحمل صفتين مذمومتين أيضا هما: صفة الخيانة، وصفة الكيد، وذلك في قوله:

وإنْ كادك الدهر الخئون بأمره يردُّ ورأسُ الكيد دونك ناكسُ

إليك أمينَ الله جَدَّتْ ركائبي فما لسواك اليوم تُحدَى العرامسُ [٧٦]

ولا يتردّد الشاعر باستعمال أسلوب التشبيه ليرسم صورة للزمان المتقلّب المتغيّر، وذلك عندما شبّه الزمان بالمشبّه به (قلب المرء) فقلب الإنسان دائمُ التقلُّبِ والتغيُّر، وهذا هو حال الزمان في نظر الشاعر، وذلك في قوله:

واصبر على ما حمّلتْك يد النوى واطلبْ من الأيّام ما هي تطلبُ

واقنعْ بما يأتي الزمانُ فإنّه زمنٌ كقلب المرءِ قد يَتقلَّب [٧٧]

ومن الشواهد السابقة، نجد أنّ أبا الصوفيّ يستعمل الدهر أو الزمان، ويجعل له فاعليّة أو سلطة، فهو مرّة يتّصف بالخيانة، ومرّة أخرى يتّصف بالتقلُّب والتغَيُّر.

المبحث الخامس: جنود الدهر:

وللدهر عند الشاعر جنود تناسب مُضافِهِ مثل: صُروف الدهر(نوائبه)، وظروب الدهر(أحواله)، ومعضلات الدهر(مشاكله)، نكد الزمان (أيّام نحسه)، كيد الزمان (مكره)، غِمار الدهر(لُجّته)، جَوْر الزمان (حكمه) ، ظلم الدهر(قهره).

وقد " أكثر الشعراء من الحديث عن الدهر وصروفه، وهي عندهم ذات دلالة على أحداثه وتغييراته السيئة" [٧٨]. ولهذا كانت " الصروف جندًا من جنود الدهر كان

([٧٥]) ديوان أبي الصوفي، ص ٣٠

([٧٦]) المصدر السابق، ص ١٢٩ كتبت (الخئون) في الديوان، والصواب (الخؤون).

([٧٧]) ديوان أبي الصوفي، ص ٣٢

حريّاً بمن تنبري له الدفاع عن نفسه، وكان من الطبيعي أن ينبري الشعراء إلى إسباغ بطولاتهم وبطولات ممدوحيهم على مجابهة تلك الصروف"[٧٩].

فشاعرنا يرى أن الفقراء الذين يستجيرون بالسلطان تيمور بن فيصل بن تركي من صروف الدهر أغناهم حتى يقولوا كفى، وذلك في قوله:

لم يستجِرْ من صروف الدهر ذو ملَقٍ يوماً بذمّته إلا وقيل كفَى[٨٠]

ويستعمل الشاعر عبارة (مُعْضِلات الدهر) بمعنى مصائب الدهر الشديدة، والممدوح هنا يصارع هذه المصائب الجِسام تارة، ويصبر عليها تارة أخرى، كلّ ذلك في سبيل الحصول على العلا، مستعملا ألفاظاً تحمل الكثير من دلالات الشدّة، مثل: معضلات الدهر، يكابد، دهياء، الخطوب، وذلك في قوله:

على مُعضلات الدهر حِرصًا على العُلى يكابدُ دَهْياءَ الخُطوب ويصبِرُ [٨١]

ويرى الشاعر أنّ الممدوح السلطان تيمور ابن السلطان فيصل نُصِّبَ في حكمه للسلطنة بمشيئة الله، وأنّ هذه المشيئة نافذة (لم يُثْنِها.. كيد الزمان ولا حسود أحمقُ). والشاعر هنا يستعمل عبارة (كيد الزمان)، وهي عبارة تحمل دلالات المكر الشديد، وذلك في قوله:

قد حَكَّمَتكَ مشيئة لم يُثْنِها كيد الزمان ولا حسودٌ أحمقُ

فطَلَعْتَ شمساً يستمدّ بنورها قمرٌ به ثوب الضلال يُمَزّق

(٧٨) الدهر في شعر ابن الرومي : دراسة تحليلية،(رسالة دكتوراه)، ص ١٣٤

(٧٩) المرجع السابق ص ١٣٥

(٨٠) ديوان أبي الصوفي، ص ١٤٠

(٨١) ديوان أبي الصوفي، ص ٦١ . تم كتابة (العُلى) بالألف المقصورة وفي الديوان والصواب تكتب هكذا (العُلا) بالألف الممدودة لأن أصلها واو.

في كلّ يوم منك يظهر للورى تأييد أمر من ذكائك يَفْرق [٨٢]

استعمل الشاعر عبارة (ضروب الدهر واللمم)، وهي عبارة تحمل الكثير من العَناء والمشقّة التي يشعر بها العاشق، فالحبّ قد أشعل في قلبه ناراً، وهذه النار جعلته يتعرّض لضروب الدهر بالإضافة إلى (اللمم) وهي " الصغير من الذنوب، نحو القُبْلَة والنظرةِ وما أشبهها" [٨٣]. وذلك في قوله:

قد أوقد الحبُّ في سَودائه لهَباً فناله من ضروب الدهر واللّمَمِ [٨٤]

ويستعمل الشاعر عبارة (جور الزمان) ليُبَيّن مقدار قوّة السلطان فيصل بن تركي بن سعيد، فهو مصدر أمان للشاعر من كل بأس وشدّة حتى أصبح الشاعر لا يخشى الأعداء، وذلك في قوله:

إلى بهجة الدنيا وظِلّ أمانِها ومن هو مِن جوْر الزمان أمانيا

إلى فيصلٍ كهف الأنام كفيلِهم أشدّهم بأسًا وأعظم ناديا

أَمِنْتُ به من كل بأسٍ وشدةٍ وأصبحتُ لا أخشى عدوًا معاديا [٨٥]

يستعمل الشاعر عبارة (أخوض غِمار الدهر)، والعرب في العادة يستعملون (أخوض غمار الحرب أو المعركة) وليس غمار الدهر، ولكن الشاعر استعملها للدهر للدلالة على أنّها حرب، والشاعر يقوم بالدخول فيه والتوغّل في ساحاته، مُستعملا (كم) الخبريّة لبيان كثرة توغّله وولوجه، وقد استعمل الشاعر عبارتَي (الدهر، ساعة) بمعناهما الحقيقي، فالدهر معادل هنا للسلطان تيمور بن فيصل بن تركي، والساعة هي إحدى أصغر أجزاء الدهر، وذلك في قوله:

---

(٨٢) المصدر السابق، ص ١٤٤

(٨٣) المعجم الوسيط، مادة (لمّ)

(٨٤) ديوان أبي الصوفي، ص ١٥٥

(٨٥) ديوان أبي الصوفي، ص ٩٣

كم ذا أخوض غمار الدهر من قلق فلم أجد ساعة تخلو من الكلفِ [٨٦]

ويستعمل الشاعر عبارة (ظروف الدهر) وليس للدهر ظروف بل هي ظروف الناس الذين يعيشون في هذا الدهر، ويرسم صورة تشخيصيّة للظروف فهي تُعرِب وتُنذر بالإضافة إلى أنها تملك أعضاء بشريّة (جنبيها)، وذلك في قوله:

فلستُ أخا قلبٍ يُرَوَّعُ بالطبا ولا من لظى الهيجا إذا الحرب تُسعرُ

ولكن ظروفَ الدهرِ تُعربُ للفتى بما بين جنبيها جَهارًا وتُنذِر [٨٧]

يمثّل الدهر عند شاعرنا عنصرا سلبيّا فعّالا يقوم بالاعتماد على التفريق بين الشاعر ومن يحبّ، فالشاعر يستعمل أسلوب الاستفهام الإنكاري بالإضافة إلى استعماله عبارة (أظلم) على وزن أفعل التي تحمل دلالات بلوغ الحدّ الأعلى من كثرة الظلم، وذلك في قوله:

مالي وما للدهر أطلبُ وصلهم فيُدني ويرى التفرّق مذهبا

ما أظلم الدهر المُشتّ بأهله لم يرض لي إلّا الأسِنّةَ مَركَبا [٨٨]

كما يستعمل الشاعر عبارة (نكد الزمان) للدلالة على شدّة شقائه في هذا الزمان، وذلك في قوله:

إني لمِن نكَد الزمان على شفا لولا المليك بن المليك الأوحدِ [٨٩]

([٨٦]) المصدر السابق، ص ١٣٩

([٨٧]) المصدر السابق، ص ٦٣

([٨٨]) ديوان أبي الصوفي، ص ٢٩

([٨٩]) المصدر السابق، ص ٤٤

ويلاحظ أن الشاعر أكثر من استعمال جنود الدهر أو الزمان، مثل: (صروف الدهر، ومعضلات الدهر، وكيد الزمان، وضروب الدهر، وجور الزمان، وغمار الدهر، وظروف الدهر، وظلم الدهر، ونكد الزمان).

المبحث السادس: الزمن الكَمّيّ:

يستعمل الشاعر ألفاظًا تدلّ على الكَمّ، مثل: (ملأ الزمان، فاضت الأيام، أبدّد أيّامي)، أو تدلّ على المسافة، مثل: (الليل الطويل، الزمان الطويل، مدى الدهر)، أو تدلّ على المساحة، مثل: (يضيق الزمان، ضيق الدهر).

يقول أبو الصوفيّ في سياق تهنئة السلطان تيمور بن فيصل بن تركي، متذكراً أيّامه مع السلطان، مستعملاً أسلوب التكرار لكلمة (يوم) ثلاث مرّات في بيتين، وذلك لأهمّيّة هذا اليوم في نفس الشاعر، ومن ثمّ يستعمل لفظة أخرى وهي لفظة (الزمان) التي كرّرها مرّتين في بيتين متتاليتين، ففي المرّة الأولى صوّر الزمان صورة بيانيّة جميلة معتمدًا على حاسّة البصر، فالزمان ظهر وهو في صورة وضّاءة، بالإضافة إلى اعتماد الشاعر على حاسّة الشمّ فالزمان له رائحة جعلت من البشائر تفوح أريجاً، وجعلت من "أعطاف كلّ أريكة" تتحرّك وتترنّح شوقًا للممدوح. وفي المرّة الثانية يبتكر الشاعر صورة للزمان الذي يعيش فيه الممدوح، وهي صورة (الامتلاء)، فهو زمن ممتلئ بالسماحة، وذلك في قوله:

ما إنْ لنا يوم تطيب نفوسنا فيه كيوم بالمملّك لاحا
يوم به سَفَر الزمان وضاءة وبنشره أرَجُ البشائر فاحا
وترنّحت أعطافُ كلّ أريكة شوقًا لمن ملأ الزمان سماحا (٩٠)

ونلاحظ أنّ الشاعر يرسم صورة كمّيّة للأيّام، فهي فاضت بما في داخلها من مآثر، ولكنّ الغريب بأن الشاعر يجعل من هذه المآثر مستمرّة "ليس لها قط انتهاء" فهذه الصورة تحمل دلالات الكثرة من محورَين:

(٩٠) ديوان أبي الصوفي، ص ١٠٧

- المحور الأول باستعمال الفعل الماضي (فاض) فالفيضان في الماضي، فالشاعر استعمل كلمة فاض، ولم يستعمل تدفّق، أو سال، أو غيرها من مترادفات لهذه العبارة للدلالة على غزارة ما تُدْلي به الأيام من مآثر الممدوح، ولكنّ الشاعر يستدرك باستعمال الفعل الماضي (فاض) الذي يحمل معنى الحدوث في الماضي والانتهاء.
- المحور الثاني الاستمراريّة بعبارته "ليس لها قط انتها" للدلالة على الاستمرارية والدوام، وذلك في قوله:

فاضت الأيام تُدْلي بينهم مآثراً ليس لها قط انتها [٩١]

ويودّع أبو الصوفيّ السلطان تيمور بن فيصل بن تركي في سفره إلى الهند في عام ١٣٤٢هـ، فيستعمل ألفاظاً تدلّ على الكمّ في الفعل المضارع (أبدّد)، فأيّام الشاعر تحمل دلالات الكمّيّة، والشاعر يقوم بتبديد أيّامه في فترة سفر السلطان حتى يعود السلطان للسلطنة ويجتمع به من جديد، وذلك في قوله:

أبدّد أيّامي لجَمْعي بشملِكم فأصبحتُ نَسياً والعهود ديونُ [٩٢]

ويستعمل الشاعر صورة كمّيّة تدلّ على المسافة وهي (مدى الدهر)، فهذا الملك مخلّد وباقٍ في مُلكه مدى الدهر، ومن الملاحظ أنّ الشاعر استعمل ألفاظاً وعبارات تحمل دلالات الدوام، مثل: (دُم لي، نعيماً لا يزال، خلده، مدى الدهر، باقياً)، وهي عبارات وألفاظ تحمل دلالات الدوام استعملها الشاعر بصورة مكثّفة في بيت واحد، ولكنّ الشاعر باستعماله عبارة (مدى الدهر) استعمل لفظة الدهر بمدلولها العام في اللغة، فالدهر هو: "مدّة الدنيا كلّها من ابتدائها إلى انقضائها"[٩٣]. و(مدى الدهر)

(٩١) المصدر السابق، ص ١٧٥

(٩٢) المصدر السابق، ص ١٥٩

(٩٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دهر).

تحمل دلالة المسافة في اللفظتين وهي المسافة التي يقطعها الدهر من ابتدائه إلى نهايته، وذلك في قوله:

ودُمْ لي نعيمًا لا يزال بكنفه وخلده في ملك مدى الدهر باقيا [٩٤]

ويلاحظ أنّ الزمان عند شاعرنا يحمل صورة كمّيّة، فالليل عنده طويل أي أنّ الليل له مسافة تتّسم بالطول، وهذا التصوير (الليل الطويل) يحمل دلالات الحُزن والكآبة التي عاشها الشاعر في تلك الفترة الزمنيّة التي تعكس تبدّل الحال من حال النعيم والراحة في أحضان المحبوبة إلى حال البكاء والعويل على فراق المحبوبة، وذلك في قوله:

دعني والليل الطويل سمرا أقضيه ما بين عويل وبُكا

من بعد ما قطّعته مُتّكئاً في سُرر موضونة من الحشا [٩٥]

ويرسم الشاعر صورة كمّيّة للزمان تدلّ على المساحة، فالشاعر يرسم صورة لكرم السلطان فيصل بن تركي بن سعيد، فهو يُغيث الورى، وذلك عندما استعمل أسلوب الاستفهام الانكاري، للتساؤل عن مساحة الزمن (يضيق زمان)، وهذا الضيق هو ضيق معنوي نفسي ومادي، وذلك في قوله:

وهل يضيق زمان بامرئ وعلى كرسيّه فيصلُ غوثِ الورَى الحَكَمُ

[٩٦]

ويرسم الشاعر صورة كمّيّة للدهر تدلّ على المساحة (ضِيْقَ دهر)، فالضّيق في هذا الشاهد هو ضيقٌ نفسي مبعثه ومولده الضيق المادّيّ، فبمجرّد أن يُسرع ليمين الممدوح السلطان فيصل بن تركي، يأتيه الفرج (فأنالها ما يوجد)، وذلك في قوله:

(٩٤) ديوان أبي الصوفي، ص ١٧٢

(٩٥) المصدر السابق، ص ١٧٣

(٩٦) المصدر السابق، ص ٧٩

إن تَشْكُ نفسي ضِيقَ دهرٍ أسْرعَت لـيمينه فـأنا لهـا مـا يـوجدُ [٩٧]

ويلاحظ أن الشاعر قد استعمل ألفاظًا تدل على الكم، أو تدل على المسافة، أو تدل على المساحة.

المبحث السابع: أثر الدهر في الشاعر:

إن أثر الدهر واضح في شعر أبي الصوفي، فهو يرسم صورة للسلطان فيصل بن تركي بن سعيد، عندما خاطب الشاعر الدهر وصوّره على أنّه خصم للسلطان فيصل، ويدعوه للرفق بنفسه، فهو لا يستطيع عناد الدهر أي لا يستطيع عناد السلطان فيصل، ثمّ يذكّره بعظيم فضل السلطان عليه، ثمّ يذكّره ثانية بأنّ خصامه للسلطان فيصل هو من أكبر الأشياء التي يصنعها، ثمّ يذكّره ثالثة بأنّ كفرانه للنعماء التي منحها له السلطان فيصل هي لا شك أكبر الرزايا، ثمّ يؤكّد بأنّ السلطان فيصل لا يوجد من يماثله، وإن وجد فإنّ المشابه له يَقصُر عن مشابهة السلطان فيصل في فعاله، وذلك في قوله:

حنانيك من دهر تروم عناده تذكّر عظيم الفضل إن كنت تذكرُ

فمن أكبر الأشيا خصامك فيصلاً وكفرانك النعماء لا شكّ أكبر

عزيز على الأيّام فيصل أن يرى مثيل له والمثل عن ذاك يقصُر [٩٨]

ويرسم الشاعر عددًا من الصور المتخيّلة فالجوّ ذو لون (زَبْرَجِيّ) كناية عن اللون الأخضر، وظهْرُ البحر تحوّل إلى روض ممتلئ من نبات الخُزامى، كما صوّر الدهر بصورة تشخيصيّة على أنّه رجل عاشق، وصل لمرحلتَي الصبابة والهيام في الحبّ، وكلّ هذه الصور بسبب شرب الخمر في وقت الصباح، وذلك في قوله:

([٩٧]) المصدر السابق، ص ٤٤

([٩٨]) ديوان أبي الصوفي، ص ٦٢

كأنّ الجـوَّ ثـوبٌ زَبْرَجِيٌّ وظهرُ البحر من روض الخُزامى

ظلَلْنا نَصطبحْ كاسات أُنسٍ نخالُ الدهرَ صبّاً مُستهاما[٩٩]

ويرسم الشاعر صورة تشخيصيّة للدهر، وذلك عندما جعل له القدرة على سُقيا الكاسات، وكلمة (كاسات) جاءت بصيغة الجمع الذي يحمل دلالات الكثرة، وهي كاسات تحمل مشروب التصابي، فهذا المشروب جعل الشاعر يعود إلى عمر الصِّبا، وبمجرّد أن فرغ الشاعر من الشراب انتقل إلى المشهد الثاني وهو مشهد العَوم في البحر، وهذا العوم يجعل الشاعر ينتشّق النُعامى، وذلك في قوله:

سقانا الدهرُ كاساتِ التصابي فَعُمْنا البحرَ نَنْتشِقُ النُعامَى[١٠٠]

تمكن الشاعر من إظهار أثر الدهر في شعره من خلال تصويره للدهر بالخصم للسلطان فيصل، ومن خلال رسم صور تشخيصية للدهر مختلفة تتراوح بين خصومة للسلطان، والرجل المعربد العاشق، أو منحه القدرة على سقيا الخمر.

المبحث الثامن: إخضاع الدهر وخضوعه:

ويرسم أبو الصوفي صور تحمل دلالات خضوع الدهر للسلطان من خلال تصوير الدهر سلاح (سيف) في يد السلطان، أو الدهر المدعي على الأزمات أمام القاضي السلطان، الدهر خاضع للسلطان ومنضو تحت لوائه.

فالشاعر يؤكد بأنّ السلطان تيمور بن فيصل بن تركي لا يزال كنَفًا للوجود، وهو ملجأ له أيضًا. فالسلطان له القدرة على إخضاع الدهر، فالدهر هو عبارة عن سلاح (سيف) في يد السلطان، وذلك في قوله:

لا زال كنَفا للوجود وملجأ والدهرُ في كفّيه ثمّ حُسامُ [١٠١]

(٩٩) المصدر السابق، ص ٨٥

(١٠٠) ديوان أبي الصوفي، ص ٨٥

(١٠١) المصدر السابق، ص ١٥٨

ويستهلّ أبو الصوفيّ صوره باستعمال أسلوب الاستفهام الإنكاري، فالشاعر يصوّر لنا مقدار ابتهاج وأنس الأيام، وذلك في صورة تشخيصيّة جميلة، فالأيّام تبتهج وتأنس بقدوم السلطان تيمور بن فيصل بن تركي من الهند بعد رحلة سياحيّة عام ١٣٤١هـ (١٠٢). ثمّ يرسم صورة للدهر يملؤها الخضوع للسلطان، فالدهر خاضع له ومُنضوٍ تحت لوائه، وذلك في قوله:

ما أبهجَ الأيّام وهي أوانس بمليكها والدهر تحت لوائهِ (١٠٣)

ويرسم الشاعر صورة للسلطان تيمور بن فيصل بن تركي بعد أن وصفه بالخليفة، يظهر فيها الدهر أو (الأيّام) خاضعة للسلطان، وعاجزة عن حلّ أزْمتها، فطرحت نفسها للسلطان طالبة حلّا، فما كان من السلطان إلّا أن وقف في وجه هذه الأزمات مدافعاً عن الدهر/ الأيّام، وما كان من الأيّام حين ألقت أزمتها إلى السلطان إلّا أن سارت محفوظة من هذه الأزمة بفضل السلطان تيمور، وذلك في قوله:

خليفةٌ ألقتْ الأيّام أزمتَها بكفّه فانبرتْ محفوظةَ الطرْفِ (١٠٤)

المبحث التاسع: الصراع مع الدهر:

يرسم أبو الصوفيّ للزمان صوراً متعدّدة فمرّة له يدٌ ترشق الشاعرَ بالسهام، ومرّة ثانية يجعل من الدهر رجلاً له سيف حين قال: "جرّد الدهرُ للقناة حُساما"، ومرّة ثالثة عندما ينادي الدهر بأداة النداء بقوله: "يا دهرُ أقصِرِ الخَطْوِ عنّي"، فهو يمشي ويُتابع، ولا يقف الشاعر عند أسلوب التشخيص بالمناداة بل يتجاوزها ليجعل للدهر خطوات، ويطلب منه أن يقصرها عنه، وأن يتقي الله، ثم يستعمل أسلوب التناصّ

(١٠٢) انظر: المصدر السابق، ص٩٦

(١٠٣) المصدر السابق، ص ٩٧

(١٠٤) المصدر السابق، ص ١٤١

الدينيّ باستعمال جزء من الآية القرآنيّة، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[١٠٥]. ثمّ يؤكّد الشاعر بأنّ شرع الدهر وطبيعته هي عكس الأمر، ويتساءل كيف نرجو مَن كان هذا طبعُه أن يكون إماماً، وموجّهاً، وقائدًا، ثمّ يسأل ويتساءل من ينصرُ ذلك الغرّ الذي "يسومه الدهر خَسفاً"، فهذا الغرّ يشرب الماء ليُطفئ ناره، وما أن يشرب الماء حتى تشبّ النار في صدره من جديد، وهو في حيلة واهية ينسج من خيوط العنكبوت حبلاً ليتّخذه خُطامًا يقود به الزمان، وذلك في قوله:

ما شجاني ذكر المرابع لكن رشقتني يد الزمان سهاما

كلّما قوّم الإله قناةً جرّد الدهرُ للقناة حساما

ويك يا دهر أقصِرِ الخطو عَنّي إنّ من قَوّم الإلهَ استقاما

واتق الله إن لله خلْقا إن يمرّوا باللغو مرّوا كراما

هكذا الدهر يعكس الأمر شرعًا كيف نرجو من الزمان إماما

من لغِرٍّ يسومه الدهر خسفا يقدح الماء كي يشب الضراما

يفتلن منسج العناكب حبلاً يتخذ منه للزمان خُطاما [١٠٦]

ويرسم الشاعر صورة للدهر بالاعتماد على أسلوب التشخيص، فالدهر حيوان له مخالب، والشاعر يعيش في صراع معه، فبمجرّد أن يسطو عليه الدهر بمخلبه فإنّ الشاعر يلجأ للانضواء تحت لواء السلطان فيصل بن تركي بن سعيد، وذلك في قوله:

ولئن سطا دهري عليّ بمخلب حسبي حِمى بلوائه المعقودِ [١٠٧]

(١٠٥) سورة الفرقان، آية ٧٢

(١٠٦) ديوان أبي الصوفي، ص ٧١، ٧٢

ويرسم الشاعر صورة تحمل الكثير من القلق، فقد دفعه هذا القلق إلى التوقّف عن الترحال، وذلك لأنّه أصبح خصماً للدهر بمجرّد أن عضّ غاربَه، والشاعر هنا يصوّر الدهر بصورة حيوان مفترس يرغب في مهاجمته، كما يرسم نفسه بالجمل (الضحيّة)، ولا يكون الحلّ لهذا الصراع بين الدهر المفترس والشاعر الضحيّة إلّا على يد السلطان فيصل بن تركي، فهو مَن يُرجى لديه حلّ هذا الصراع، وذلك في قوله:

مَنَعتُ عن الترحال دهرًا ركائبي وأصبحت خصم الدهر لو عضّ غاربي

وآليتُ لا أشكو لخلقٍ مطالبي سوى فيصل السلطان بحرِ المواهب

فذلك مَن تُرجى لديه المنافعُ [١٠٨]

([١٠٧]) المصدر السابق، ص ٤٧

([١٠٨]) المصدر السابق، ص ٦٦

الخاتمة:

خلص التطواف مع توظيف مفردة الدهر بكل تفاصيلها، وما تدل عليه في مختلف التوظيف في شعر أبي الصوفي إلي بعض النتائج منها:

أ- عَنِيَ الشاعر سعيد بن مسلم المجيزي العماني بتوظيف لفظة (الدهر) في سياقات شعرية متنوعة، هيمنت كثيرًا على موضوعاته الشعرية، وشكّل ملمحًا بارزًا في إبداعه.

ب- حرض أبي الصوفي على إلباس (الدهر) الصفات البشرية ، وإسباغ الخصال الإنسانية على الدهر مما جعله (مشخّصًا) في الكثير من الصور الشعرية عنده ، مما شكّل أيضًا ملمحًا ظاهرًا إلى أبعد الحدود في شعره.

ت- تنوعت أساليب (التشخيص الشعرية) من قِبَلِ الشاعر في حق لفظة (الدهر)، فجاء تشخيص الدهر بوصفه حيوانًا يملك كل الصفات الحيوانية من الافتراس ، والهجوم ، والشجاعة. وبوصفه مشخّصًا إنسانًا بكل الصفات البشرية، مثل: الحزن والفرح ، والصحة والمرض ، والشجاعة والجبن ، وغير ذلك مما برع فيه الشاعر بأيما أسلوب .

ث- اعتنى الشاعر بتوظيف لفظة (الدهر) بما تدل عليه من الزمن الفيزيائي الكميّ ، كذلك حرص على توظيف أجزاء الدهر الزمنية، مثل : (الصباح ، الضحى ، الليل) في السياقات المختلفة، مع مراعاة هذا التوظيف النوعي لموضوعات الشعر الموظفة فيه .

ج- أجاد الشاعر المجيزي في توظيف مفردة (الدهر) في تفاصيل أساليب بلاغية بديعة القصد والتوجه مثل التشبيه والاستعارة والمجازية بكل أشكالها، مما منح التوظيف طبقات جمالية متراكبة متسقة تمام الاتساق والانسجام، ممّا يدل على نجاعة الأدوات الإبداعية لدى الشاعر، وجمالية الحس التوظيفي عنده.

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الفكر، بيروت،ط٢، ١٩٧٢م.

ـ أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبدالحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي علام، وزارة المعارف، المجلد العاشر.

ـ أحمد علي محمد، المحور التجاوزي في شعر المتنبّي: دراسة في النقد التطبيقي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦م.

ـ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ـ إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

ـ باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٨م.

ـ أبو البقاء الكفوي، الكليات، أعدّه للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

ـ حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

ـ حسن بحراري، بنية الشكل الروائي: الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

ـ خيري منصور، أبواب ومرايا: مقالات في حداثة الشعر، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٧م.

ـ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ.

ـ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤١٩هـ.

ـ الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد على النجار، ط٣، القاهرة، ١٤١٦هـ.

ـ عبد الإله الصائغ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م.

ـ عبد العزيز محمد شحادة، الزمن في الشعر الجاهلي، إربد، ١٩٩٥م.

ـ عبد العزيز مختار شبين، الخال وأضرابه في قوافي الشعراء: على ضوء دائرة المعارف للكرباسي، بيت العلم للنابهين، بيروت، ٢٠١٨م.

ـ عبد الله بن محمد الهمداني، زبدة الحقائق ويليه (رسالة شكوى الغريب)، ٢٠٠٨م

ـ أبو علي الأصفهاني المرزوقي، كتاب الأزمنة والأمكنة، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، ١٣٣٢هـ.

ـ سعيد بن مسلم المجيزي العُماني، ديوان أبي الصوفي، تحقيق: حسين نصار، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٣، ٢٠١٦م.

ـ لميس داود، الزمان في شعر المتنبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٩م.

ـ محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفنّ والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

ـ مسلم بن الحجّاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، ٢٠٠٦م.

ـ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

ـ هانز ميرهوف، الزمن في الأدب، ترجمة: أسعد مرزوق، مؤسسة سجلّ العرب، القاهرة، ١٩٧٢م.

ـ أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

ـ يمنى طريف أمين الخولي، إشكالية الزمان في الفلسفة والعلم، مجلة ألف، الجامعة الأمريكية، مصر، العدد ٩، ١٩٨٩م.

الرسائل العلميّة:

ـ الدهر في ديوان الهُذليّين، بحث مقدم لنَيل درجة الماجستير في الأدب، إعداد حمد محمد خضر المطرفي، إشراف الدكتور/ حميد سمير، جامعة أم القرى، عام ٢٠١٥م.

- الدهر في شعر ابن الرومي: دراسة تحليلية، بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، إعداد محمد عيسى عبد الله الحوراني، إشراف الأستاذ الدكتور/ يونس شنوان، جامعة اليرموك، عام ٢٠١٣م.

- الزمن في شعر محمود درويش، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب، إعداد سلطان عيسى الشعار، إشراف الأستاذ الدكتور/ سامح عبدالعزيز الرواشدة، جامعة مؤتة، ٢٠١١م.